وابراز نضالها، باعتباره طليعة النضال العربي للتحرير وليس العكس» (ص ٦٠).

التشكّل

بين الاكتفاء باستعراض حالة التشكل الفلسطيني الاولى وبين التماس مع محاولة ابراز مفاصلها الاساس، يكتب د. أحمد نوفل عن حالة التشكل الاولى للكيان السياسي الفلسطيني. وهي مهمة ليست سهلة على الاطلاق، بل انها اساس العمل كله؛ لكن نوفل تقدم اليها بخفر ملحوظ، وفي أحيان كثيرة امتنع عن سبرها. ونعود لنؤكد انها مهمة بالغة الصعوبة، لكن الذي حصل هنا انه تم تغليب الرغبة باستعراض الحدث على الرغبة بتقويمه ونقد مكوّناته؛ بمعنى انه لم يجر تحديد المسببات ـ الفواصل التي تحكّمت في مسار الحدث، مع ان هذه فترة مضت وتحولت إلى ذمة التاريخ، على الرغم من التماس الطبيعي مع المراحل المقبلة، وكذلك استناداً إلى اشارة د. عبد الرحمن في المقدمة.

بالضرورة المطلقة، ان الصراع في بدايات التشكل الاولى يكون حاداً، ويكون فادحاً، ويكون مختلطاً بالبحث عن الذات؛ اذ تكون الاطراف كلها مطروحة للبحث والتقويم، فيكون الاجدى، حينئذٍ، تغييب منهج العرض المعلوماتي المحض والاستعاضة بابراز روح المرحلة ومفاعيلها الاساس، لأن السؤال بالغ الصعوبة والتعقد، ولا بد من أن تكون الاجابة من نوعه.

ان تجربة مؤسس الكيان الفلسطيني أحمد الشقيري تشكّل اختراقاً هائلاً لتقويم مقولات سائدة؛ ثم ان تجربة الانفلات الفلسطيني من الوصاية العربية وتكوّن نويات الاستقلال الفعلي، ممثلة بـ «فتح»، تشكل، أيضاً، اختراقاً هائلاً لتقويم ومقولات سائدة، فكان الاجدى أن يتم التأكيد والبحث في دقائق الوفاق والتصادم بين هذين الاختراقين، أو جدل العلاقة بينهما، وهو الذي أتاح خلق حالة الاستقلال الفلسطيني لاحقاً.

الاستقلال

بتودد لمنهج العرض المعلوماتي، ودونما حرص كبير على تزويدنا بمفاعيل المسألة المطروحة، يستعرض وليد الجعفري ـ ملتزماً، أشد الالتزام، بالمنهج ـ على مدى ستة فصول من الكتاب، حالة التأسس الفلسطيني، أي قساوة البدء من الصفر الفلسطيني المطلق. ولا شك في الجهد المبذول، من حيث ربط عناصر المرحلة ببعضها وتشكليل الخلاصات العامة. لكن المسألة هي ـ وهو ما يشمل الكتاب كله ـ ان تأريخ مرحلة ما من وعي حركة وطنية ما، يتصل، بشكل مطلق، بوعيها الراهن؛ ولذا، يكون المطلوب هو ابراز المفاصل كي يمكن وصلها بالراهن؛ اما الاكتفاء بالاستعراض، فيعني وكأن الماضي هو ماض فقط، مستقل عن حالات الزمن الثلاث المتصلة والمترابطة.

ومع كل ذلك، فان الجعفري قد أجاد في استخلاص نتائج الحالة التي قام بدراستها، على الرغم من انه استعاض عن التمعن في واقع الحدث باستعراضه؛ اذ حين يذكر «ان الساحة الفلسطينية قد شهدت... تطلعات لاعادة صياغة الهوية الفلسطينية الوطنية في اطار نضالي يتيح للشعب الفلسطيني القيام بدوره السياسي والعسكري... وقد تجسدت هذه التطلعات بالفعل، عبر ارادة ونشاط مجموعات من الشباب الفلسطيني في تنظيمات كان لبعضها طابع فلسطيني محض، كما في حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) خصوصاً، وكان لبعضها الآخر طابع الانبثاق من اطار قومي عربي، كما حدث في حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي (ص ١٣١). حين يذكر، ويتم تأكيد ذلك، يكون الاجدى التدقيق في مكونات هذه البنية الفلسطينية المنقسمة وتحديد سماتها وأسس تشكلها، حيث من المعروف ان مثل هذه المكونات البنيوية هي التي لم تزل تحكم العمل الفلسطيني حتى هذه اللحظة.

التمركز، وتقويم التمركز

من الجملة الاولى، نودّ أن نختلف مع د. باسم سرحان في تقويمه للعمل السياسي الفلسطيني على